عن مصدر حديث الشبلي في الحج

السلام عليكم شيخنا،

سؤال::

ما رأيكم بالحديث المعروف بحديث الشبلي عن الإمام زين العابدين ع المرتبط بأسرار الحج؟

هل له مصدر معتبر؟

هل هو موافق لتراث العترة ع ولحن كلامهم؟

الجواب:

وعليكم السلام ورحمة الله

روايته مرسلة و لم أقف على مصدر معتبر له عندنا، ولسانه الأدبي وما ورد فيه من ذكر لبعض الأحكام -كطواف الإفاضة- لا يوافق لحن كلام أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولعله قد تسرب لكتبنا من تراث الصوفية، بل نكاد نطمئن بذلك.

لكنه - بشهادة علماء وفقهاء كثر - ليس فيه شيء يخالف المعاني الشرعية المتلقاة عن المعصومين عليهم السلام، إذا حملنا ما فيه من إبطال للحج على المبالغة لا الحقيقة؛ بغرض التأكيد على التوجه القلبي وحضور النفس وتذللها في تلك المواطن الشريفة، ومع هذا كله فنصوصنا تكفي عن هذه النصوص التي نحتمل كونها دخيلة على النصوص الشريفة للعترة المطهرة.

وتفصيل الجواب:

أما مصادره التي وقفت عليها:

فمن الإمامية أعزهم الله:

ما حكاه السيد عبد الله بن نور الدين بن السيد المحدث الجزائري (توفي ١١٥٨هــ) في شرح النخبة المحسنية للفيض الكاشاني:

" وَجَدْتُ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ أُوَثِّقُهَا بِخَطِّ بعْضِ الْمَشَايِخِ الَّذِينَ عَاصَرْنَاهُمْ مُرْسَلًا: أَنَّهُ لَمَّا رَجَعَ مَوْلَانَا زَيْنُ الْعَابِدِينَ ع مِنَ الْحَجِ اسْتَقْبَلَهُ الشَّبْلِي " الحديث وهو المشهور في كتبنا هذا الزمان.

و لم يذكر صاحب النخبة مصدره الذي أشار إليه، والنص المروي لا يخلو عن غرابة؛ كذكر طواف الإفاضة وهو من مصطلحات غير الإمامية، ومحله طواف النساء عندهم.

وأما من مصادر غيرهم، وهو الصوفية:

فرواها عبدالملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي [الخرگروشي] من فقهاء الشافعية المتوفي في نيسابور عام ٤٠٧هــ

في كتابه (تهذيب الأسرار في أصول التصوف)[1] مسندا عن عبد الله بن منازل الصوفي (توفي ٣٢٩ هـــ)[2].

قال:

" صفة حج الشبلى لابن منازل :

وعن عبد الله بن منازل قال: أردت الحجّ فدخلت على أبى بكر الشبلى فأخبرته بالعزم، فقال لى: قف، وقال لغلامه: هات غرارتين، فقال لى: خذهما معك فإذا وصلت إلى مكة فاملأهما رحمة وجئ بهما معك لتكون حظنا من الحج وتفرقها على من حضرنا ونحيا بها وقتا، قال: فخرجت من عنده إلى الحج، فلما رجعت دخلت عليه فقال لى: حججت؟ قلت: نعم، قال: جئت المقيات؟ قلت: نعم قال: أيش عملت؟ قلت: اغتسلت وأحرمت وصليت ركعتين ولبيت، قال: عقدت الحج؟ قلت: نعم " إلى أن قال: " ما حججت ولا زرت وعليك العودة ".

والتطابق بين هذا النص وما نسبه الجزائري لزين العابدين عليه السلام كبير مع بعض التفاوت.

---

[1] تهذيب الأسرار في أصول التصوف ٥: ٢١٧.

[2] قال السلمي في طبقات الصوفية: ٢٧٧: " عبد اللّه بن منازل، و هو أبو محمد، عبد اللّه بن محمد ابن منازل: "من أجل مشايخ نيسابور، له طريقة يتفرد بها. صحب أبا صالح، حمدون ابن أحمد، القصار؛ و أخذ عنه طريقته. و كان عالما بعلوم الظاهر. كتب الحديث الكثير، و رواه. و كان أبو على الثقفى يحترمه و يبجله، و يرفع من مقداره و محله. مات بنيسابور، سنة تسع و عشرين و ثلاثمائة".

ورواه أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي الصوفي (توفي ٤١٢ هـــ) في تفسيره حقائق التفسير عن رجل عن الشبلى أيضا، قال: "قيل إن رجلا جاء إلى الشبلي " وساق الخبر إلى أن قال: "قال: ما ودعت ولا حججت وعليك العود إن أحببت، وإذا حججت فاجتهد أن تكون كما وصفت لك "[٣]، ويظهر أن من جاء بعده رواه مرسلا عنه وزاد فيه ونقص وغيَّر.

ورواها أبو محمد روزبهان بن أبى النصر البقلى الشيرازى الصوفى (توفي ٦٠٦ هـــ) في تفسيره الصوفي (عرائس البيان فى حقائق القرآن)، رواها عن رجل جاء الشبلي سائلا، والكلام للشبلي لا لزين العابدين عليه السلام.

قال:

" وقيل: إن رجلا جاء إلى الشبلي، فقال له: إلى أين؟ قال: إلى الحج، قال: هات جراراتين، فأملأهما رحمة، واكتسبهما وجيء بهما، ليكون حظنا من الحج بعرضها على من حضر، ونحيي بها من يراه" وساق مثل الخبر إلى أن قال: " قال: ما رميت، قال: زرت؟، قلت: نعم، قال: كوشفت عن شيء من الحقائق أو رايت زيادة الكرامات عليك للزيارة؛ فإن النبي ص قال: (الحاج والعمار زوار الله، وحق المزور أن يكرم زائره)، قلت: لا، قال: ما زرت ... قال: خرجت من نفسك وروحك بالكلية؟ قلت: لا، قال: ما ودعت ولا حججت وعليك العود إذا أحببت، وإذا أحججت فاجتهد أن يكون كما وصفته لك "[٤].

[٣] حقائق التفسير ١: ١١٠.

[٤] تفسر عرائس البيان ١: ١٨٣.

وبين النصين تفاوت لا يخرجهما عن الوحدة.

واشهر من رواها ممن تأثر به متصوفة المذاهب المتأخرين ومنهم فلاسفة وعرفاء الإمامية المنتسبين لهم هو ابن عربي (توفي ٦٣٨ هـــ) في كتابه الفتوحات المكية، قال: " حكاية الشبلي في ذلك: قال صاحب الشبلي وهو صاحب الحكاية عن نفسه قال لي الشبلي عقدت الحج " إلى أخر كلامه.

ورواها إسماعيل بن موسى الجيطلاتي الإباضي (توفي ٧٥٠هـــ) في كتابه (قناطر الخيرات) عن بعض الصوفية يسأل الشبلي، لا الإمام زين العابدين عليه السلام، قال:

" وقد روي عن بعض الصوفية أنه جاء إلى بكر الشبلي فقال له: إني أريد أن أحج. فقال الشبلي للرجل الذي يخدمه: أعط للرجل غرارتين ليحمل لنا بهما من المسجد الحرام رحمة نقسمها على أصحابنا فيكون ذلك حظنا من حجه. فأخذ الرجل غرارتين وودعه ومضى لحجه.

فلما رجع سلم عليه. فقال له الشبلي : أحججت يا فلان؟ قال الرجل: نعم. فقال له: حين احللت من الميقات أتجردت من ثيابك واغتسلت وأحرمت؟ قال: نعم. قال: نويت أنك تجردت من الرياء والتفاق والدخول فى الشبهات؟ قال: لا " إلى أن قال: "قال له : رجعت إلى مكة وطفت طواف الإفاضة؟ قال له: نعم. قال له: رأيت أنك رجعت عن كل خلق يكرهه الله تعالى منك؟ قال: لا. قال له: فما رجعت ولا طفت ارجع فإنك لم تحج. قال: فجلس الرجل يبكي ورجع إلى الحج من عامه"[٥].

---

[٥] قناطر الخيرات ٢: ١٠٣.

وهذا النص لا يتفاوت كثيرا مع النص الذي نسبه الجزائري لزين العابدين عليه السلام.

ونقله عبد الوهاب الشعراني الصوفي الملقب بـــ (بالقطب الرباني) عندهم (توفي ٨٩٨ هـــ) في كتابه (لواقح الأنوار القدسية المنتقاة من الفتوحات المكية) لمحيي الدين ابن عربي، بلفظ قريب من النقولات الأولى، قال: "حكى الشيخ عبد الله المبارك صاحب الشبلي – رضي الله عنهما – قال لما حججت ورجعت " وساق الحديث.

وما وجدنا أحد المتقدمين من الإمامية قد حكاه أو رواه مسندا ولا مرسلا ولا عن صالح من الإمامية ولا غير هذا، بل و لم أقف على من وصفه السيد شارح النخبة ممن عاصره، والبحث فيه غير مجد بعد أن عرفت تكاثر وقدم النص عن الصوفية وفقدانه في نصوص غيرهم خاصة الإمامية.

ولا يبعد أن الرواية دخيلة من هذه الكتب الصوفية وأكثرها أهمية كتاب الفتوحات المكية ثم زيد فيها وغيرت بعض ألفاظها وظن البعض أنها من سؤالات الشبلي للسجاد زين العابدين ع، ومن الجلي أن الشبلي لا يمكن أن يروي عن السجاد ع و لم يدركه، ومن البعيد أن المقصود هو رجل آخر غيره، ككون الشبلي مصحف شيبة ابن النعمان كما قال السيد محمد رضا الجلالي في كتاب (جهاد الإمام السجاد عليه السلام):

" ويلاحظ أن الراوي عن الإمام مسمى بـ (شبلي) وليس في الرواة عنه، ولا من عاصره من هو بهذا الاسم، ولعله مصحف (شيبة) وهو ابن نعامة، المذكور في أصحابه عليه السلام"[٦].

بل هو الشبلي شيخ الصوفية أبو بكر دلف بن جعفر بن يونس الشبلي (٢٤٧هـ - ٣٣٤هـ)، خراساني الأصل بغدادي المنشأ والمولد[٧].

قال ابن ابي الدنيا (ت٤٣٠هـ) في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء في تراجم الصوفية:

" و منهم المجتذب الولهان، المستلب السكران، الوارد العطشان. اجتذب عن الكدور و الاغيار، و استلب إلى الحضور و الانوار، و سقى بالدنان، و ارتهن ممتلأ ريان. أبو بكر الشهير بالشبلى "[٨]، صاحب الجنيد والحلاج.

والحاصل:

هذا خبر لا يعتمد عليه، ولسانه وأحكامه أشبه بأدب غير الإئمة الطاهرين عليهم السلام، وأما مضامينه فهي صحيحة إذا حملت على المبالغة بغرض تأكيد حضور القلب لا كما يعتقده أهل التصوف المذموم.

---

[٦] جهاد الإمام السجاد عليه السلام: ١٧٥.

[٧] طبقات الصوفية: ٢٥٧.

[٨] حلية الأولياء ١٠: ٣٦٧.

والحمد لله رب العالمين

محمد علي العريبي